بسم الله الرحمن الرحيم

شفاء القرآن للقلوب والأبدان

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فإن كتاب الله تعالى موعظة وهدى ورحمة وشفاء لكل زيغ ومرض، قال تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾﴾ [الإسراء]. وقال تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدًى وَشِفَآءٌ ﴾ [فصلت: ٤٤]. وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾﴾ [يونس].

وقد زعم بعض الناس أن هذا الشفاء خاص بما في الصدور، أي الأمراض القلبية الدينية، كالنفاق والمس، وأن القرآن لا شفاء فيه لأمراض البدن، وهذا وهم مجانب للصواب، مخالف لعموم الآيات المذكورة، معارض للتطبيق النبوي.

فقالت عائشة رضي الله عنها: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا مرض أحد من أهله نفث عليه بالمعوِّذات، فلما مرِض مرَضه الذي مات فيه، جعلتُ أنفث عليه وأَمْسَحُه بيد نفسه، لأنها كانت أعظم بركة من يدي. أخرجه مسلم.

وقد أخرج الشيخان حديث أبي سعيد رضي الله عنه المعروف: أن نفرًا من الصحابة نزلوا على حي من أحياء العرب، وسيدهم قد لُدغ، لا ينفعه دواء، حتى قرأ عليه أحد الصحابة سورة الفاتحة رقيةً، قال أبو سعيد كما في رواية البخاري: فكأنما نُشط من عِقال، فانطلق يمشي وما به قَلَبَة!

قال ابن القيم رحمه الله: فقد تضمن هذا الحديث حصول شفاء هذا اللديغ بقراءة الفاتحة عليه، فأغنته عن الدواء، وربما بلغت من شفائه ما لم يبلغه الدواء. هذا مع كون المحل غير قابل، إما لكون هؤلاء الحي غير مسلمين، أو أهل بخل ولؤم، فكيف إذا كان المحل قابلا؟ اهـ من مدارج السالكين (١/٧٩)

وقال رحمه الله في الجواب الكافي (ص٨-٩) معلقا على الحديث: فقد أثر هذا الدواء في هذا الداء، وأزاله حتى كأن لم يكن، وهو أسهل دواء وأيسره، ولو أحسن العبد التداوي بالفاتحة، لرأى لها تأثيرا عجيبا في الشفاء. ومكثت بمكة مدة يعتريني أدواء ولا أجد طبيبا ولا دواء، فكنت أعالج نفسي بالفاتحة، فأرى لها تأثيرا عجيبا، فكنت أصف ذلك لمن يشتكي ألما، وكان كثير منهم يبرأ سريعا. اهـ

وأفاد رحمه الله في مدارج السالكين (١/٨٠): وأما شهادة التجارب بذلك فهي أكثر من أن تذكر، وذلك في كل زمان، وقد جربت أنا من ذلك في نفسي وفي غيري أمورا عجيبة، ولا سيما مدة المقام بمكة، فإنه كان يعرض لي آلام

مزعجة، بحيث تكاد تقطع الحركة مني، وذلك في أثناء الطواف وغيره، فأبادر إلى قراءة الفاتحة، وأمسح بها على محل الألم فكأنه حصاة تسقط، جربت ذلك مرارا عديدة، وكنت آخذ قدحا من ماء زمزم فأقرأ عليه الفاتحة مرارا، فأشربه فأجد به من النفع والقوة ما لم أعهد مثله في الدواء، والأمر أعظم من ذلك، ولكن بحسب قوة الإيمان، وصحة اليقين، والله المستعان. اهـ

وقال القرطبي رحمه الله في قوله تعالى ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدًى وَشِفَآءٌ﴾: أعلمَ اللهُ أن القرآن هدى وشفاء لكل من آمن به من الشك والريب **والأوجاع**. اهـ

وقال الشنقيطي رحمه الله: وقوله في هذه الآية: ﴿مَا هُوَ شِفَآءٌ﴾ يشمل كونه شفاء للقلب من أمراضه، كالشك والنفاق وغير ذلك، **وكونَه شفاء للأجسام إذا رقي عليها به، كما تدل له قصة الذي رقى الرجل اللديغ بالفاتحة، وهي صحيحة مشهورة**. اهـ من أضواء البيان

وقال السعدي رحمه الله في تفسير آية الإسراء: فالقرآن مشتمل على الشفاء والرحمة، وليس ذلك لكل أحد، وإنما ذلك للمؤمنين به، المصدقين بآياته، العاملين به، وأما الظالمون بعدم التصديق به أو عدم العمل به، فلا تزيدهم آياته إلا خسارًا، إذ به تقوم عليهم الحجة، فالشفاء الذي تضمنه القرآن عام لشفاء القلوب، من الشبه، والجهالة، والآراء الفاسدة، والانحراف السيئ، والقصود السيئة، فإنه مشتمل على العلم اليقيني، الذي تزول به كل شبهة وجهالة، والوعظِ

والتذكير، الذي يزول به كل شهوة تخالف أمر الله، **ولشفاء الأبدان من آلامها وأسقامها**. اهـ

وقال السعدي رحمه الله في تفسير قوله تعالى ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ﴾: أي: يهديهم لطريق الرشد والصراط المستقيم، ويعلمهم من العلوم النافعة، ما به تحصل الهداية التامة **وشفاء لهم من الأسقام البدنية**، والأسقام القلبية. اهـ

قلت: أما قصر بعض الناس شفاء القرآن على قوله ﴿وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ﴾، وزعمهم أن القرآن ليس بشفاء لما في الأبدان، فهذا خطأ فاحش وتضييق أمر واسع بلا دليل، فالله جل وعلا أطلق الشفاء في آيتي الإسراء وفصلت، قال تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء]، وقال: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ﴾، وإنما قيده بالمؤمنين. وأما قوله ﴿وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ﴾، فليس للحصر ولا تقييدِ ما أطلقه في الآيتين، بل هو لبيان أهم جوانب شفائه. وعلى مدعي الحصر أن يأتي بدليل واضح من الكتاب أو السنة أو أقوال الصحابة فيه تصريح بأن القرآن لا يشفي أمراض الأبدان! وإلا فليتراجع عن هذا الكلام ويعود إلى الحق، ويبين ما أخطأ فيه، وفي الرجوع إلى الحق عزة المسلم وعصمة من كل زيغ! وفقنا الله جميعا لما يحبه ويرضاه، والله أعلم، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

كتبه موسى الطويل ضحى العشرين من شهر رمضان عام ١٤٤١.